العراق

رسالة بغداد من ماجد السامرائي

وفاة حسين مردان ..

ـ « ..انا رجل شارع حقيقي .. بل انا اكثر من ذلك ، انني شيخ المشردين في العراق وفي العالم ، وتشرّدي لا يرجع لاسباب اقتصادية او سياسية ، لانني املك دارا جديدة ، ومورداً محترماً ، ولكني عبد حرية لا تطاق! حرية ترفض ان تربط حتى بشعرة رفيعة .. كما انني مصاب بمرض خبيث هو الملل .. بالاضافة الى شعور مركز ومرعب بالوحدة .. فيومي كله سلسلة هروب من الملل والعزلة ،ومن الحرية».

ـ « .. وبعد اسبوع واحد ستنتهي السنة ، وانها لخطوة طويلة نحو الغياب الذي لا ظهور بعده ! والماكنة تدور منذ اربعين عاما، ولكن الزيت يضيع بين اللوالب تدريجيا ، ولست ادري متى ينقطع ذلك السلك الوردي الذي يربطني بحركة العالم ؟ » .

.. واخيرا انقطع « ذلك السلك الوردي » لينفصل « حسين مردان » ، رجل الشارع الحقيقي ، عن حركة العالم ، بعد ان شغل الناس بتطرفه ،وبشعره الذي آثار اكبر ضجة اجتماعية شهدتها الخمسينات .. ومثل بسببه اكبر من مرة امام المحاكم .. كما دخل السجن ..

مات حسين مردان ، بينما كانت المطبعة تدور دوراتها الاخيرة مع كتابه الذي صدر في الاسبوع التالي لوفاته :« الازهار تورق داخل الصاعقة » « وفيه يتحدث عن جوانب من حياته ، ويلقي بآرائه في قضايا مختلفة : ادبية ، واجتماعية .. وشخصية ايضا . وتقراه ، فاذا هو بمثابة « الورقة الاخيرة » التي يلقيها الانسان قبل رحيله .

ولكن .. دعنا نتحدث عن حسين مردان : رجل الشارع ،والشاعر والانسان .. بل ليتحدث هو عن نفسه اولا :

ـ « فجاة قررت هجر المدرسة والمجيء الى بغداد .. كنت حينذاك في العشرين من عمري « كتلة نار وسيوف » وتلقفني شارع الرشيد : الفساتين الملونة ، والزجاج » وقلت لنفسي : من هذا الرصيف الرمادي ستبدأ مسيرتي الصعبة نحو قمة الجبل » ..«وكان حماسي الجهنمي وولعي الشديد بالمناقشة والجدل » وافكاري المتطرفة في الشعر والادب قد وضعتني تدريجيا في المكان اللائق بين اصدقائي الجدد .. وفي تلك الايام الرهيبة التقيت بوجه الجوع الاصفر .. فكنت لا اتناول في اليوم اكثر من وجبة واحدة : صمونة نصف سمراء مع كأس من الشربت . اما النوم فهو المشكلة الرئيسية التي كانت تشغل اكبر مساحة من ذهني .. وقد وجدت الحل اخيرا في عدم النوم .. فكنت اذرع المدينة عرضا وطولا الى ان يبزغ الفجر ..»

.. وفجاة ، واذا بغداد كلها تتحدث عنه . فقد تبنى، ودفعة واحدة ، افكارا تعبر عن نوع من الاخلاق لم يالفه المجتمع ،ان لم يكن يجدفيها مروقا ، ودعارة ، وكفرا . وكان صديقه الاقرب هو البؤس .. منذ البداية عرفه ، حتى يخيل اليك ان احدهما قد احب الاخر . ورغم الاصدقاء الكثيرين ، فان حسين مردان كان يعيش وحدة قاسية .. وظلت هذه الوحدة تلازمه ، حتى انه نفر ، وبسببها ،من ذلك الشيء الذي اسمه « الحياة العائلية » ، ينسج بدلا عنها ، اوهام حب لنساء كثيرات . وكان « نداء السفر » الذي يلح عليه باستمرار ، هو التعويض الوحيد له عن كل تلك الاحباطات النفسية والارادية . لكنه عوّض عن كل تلك « الاحلام المفقودة » بحب غريب ، هو حبه لبغداد التي عرف فيها الجوع ، والتشرد ،والتسكع، والنفي داخل المجتمع . كان يلتصق بها كما يلتصق النائم بحلم جميل . وكأني به قد اتخذها اما ، ورفيقة « وحبيبة . وكأني به ، لشدة التصاقه بها ، يخاطبها بما خاطب به بودلير امه : ـ

« كنت دوما حيا فيك ،
وكنت لي وحدي
كنت معبودا ورفيقا في آن واحد » .

.. واذا كان هناك بين الادباء والشعراء من تجد « الفجوة » « حاصلة بين سلوكهم اليومي وكتاباتهم » فانك من العبث ان تعثر على شيء من هذا في حسين مردان . كان يكتب ما يعيش ، ويرى ، وما يعتقد . الشيء الذي يقوله في المقهى ، او في البار مع الاصدقاء ، كان يقوله في شعره، وفي كتاباته .. فهو قد استقر على شيء ،ولكنه ظل يطوّر مفهومه . ولهذا فهو قد عرف « اليقين » .. ولكن اي يقين؟ يقين الثورة ، والتمرد ، والرفض .. لا في السياسة وحدها ،وانما في امور الحياة الاجتماعية ، من تقاليد واعراف . وهو في كل هذا كان صاحب « نفس بركانية » ،لا تهدا على شيء ، ولا تقر . عنيف، صريح ، ولم يعرف المهادنة . لم يهادن احدا سوى الموت الذي بدا منذ سنوات يتحسس خطاه وهو يسير اليه .

واذا كان كثيرون اليوم ـ شعراء ، وقصاصين ، وادباء ـ يعيشون بقلوب خاوية ، ولا يعرفون ماذا يريدون من الحياة، وماذا تريد الحياة منهم .. فان حسين مردان كان يعيش بقلب ممتلىء ، وبروح تتحسس ، وبنفس تمتلىءحبا ، واملا بالتغيير . كان يعرف ماذا تريد منه الحياة ، وماذا يريد منها . ولم تكن رؤاه غامضة . ولهذا ، جوبه تآمر خفي من نوعه ، بداه اناس يعلمون ، وشارك فيه اناس تراوحت المسالة عندهم بين حسن النية وسواها .. وهي محاولتهم العامة تحويل النظر عن حسين مردان الشاعر ، والكاتب الثائر ، المتمرد، الرافض ، الذي اسس الكثير .. الى حسين مردان كظاهرةاجتماعية، معزولة عن ذلك . ولهذا ظل تراث حسين مردان غير مكتشف حتى الان ، بما فيه من قيم فنية ، وفكرية ، وشجاعة قول يفتقدها كل هؤلاء الذين يعيشون في مجتمعنا اليوم .. ممن فقدوا الجراة على قول الحقيقة .. ممن جعلوا الكلمة سبية ، ذليلة تتمسح على اعتاب كثيرة .. تستجدي البقاء من خلال تزييف فكري ، وانحطاط فني كبيرين .

والذي لا اشك فيه هو ان اعادة تقييم حسين مردان ستكشفعن مسالة خطيرة ، خصوصا في جانبه النقدي الذي كان التطبيق العملي والسليم لمعالم فكره الشعري . ستكشف اعادة التقييم هذه الحالة البائسة لحاضرنا الادبي ، بما يكتنفه من مجاملات راحت تطغى على كل قيمة عداها ، ومن تزييف لكل معالم الادب بسبب من روح استخذاء يعيشها البعض ، ومن اهانة للكلمة ، ونزول بها الى احط درك من الاسفاف والمغالطة .

منذ البداية ، وحسين مردان يؤكد وجوده الشخصي ،والادبي، والشعري .. حتى بلغ به الامر حد الاستهانة بسواه . فكان دائم الاحساس بانه الوحيد الذي يمتلك التبرير لوجوده ، ولما يكتب ،او يفعل « لمجرد انه كان يعلن عن افكار غريبة على مجتمعه ، وعلى ناس مجتمعه » على عصره ، وعلى ادب ذلك العصر وشعره .

.. هذا « الاحساس بالعظمة » ـ وهو الداء الذي اصيب به حسين مردان منذ بداية حياته الادبية ـ جعله في موقف المتعالي على الكثير مما حوله : من ناس ، وافكار ، واعراف ، معلنا تفوقه عليهم. وهو حين يتحدث عن اديب او شاعر سواه فانما بنوع من الاستاذية .. وذلك هو ما قاده الى ان يعزف عن « الحياة العائلية » التي كان يمكن ان يكونها لنفسه .. وسببه الذي كان يعلنه باستمرار هو انه لم يجد المراة التي يقتنع بها ، على كثرة من عرف !.. او انه لم يجد المراة التي يمكن تكون لرجل عظيم ، او عبقري مثله !!.

وبفعل احساسه بتفوقه الذاتي ، كان برغم ما يحاول ان يضيفه على شعره من ابعاد تحمل خصائص « الغيرية » هناك شيء، واحد يعنيه ، وهو تاكيد العنصر الذاتي ، او تاكيد « الانا » .. ولكن على نطاق فيه بعض الشمولية . وقد استطاع ان يؤكد ذلك ، حتى انه، وبرغم انقطاعه عن النشر فترة من الزمن ، لم يواجه باي نوع من انواع النسيان .

تطرف حسين مردان في كل شيء ، حتى حسبه البعض يتعمد التطرف .. تطرف في حياته ، الخاصة ، وفي شعره ، وفي كتاباته ، وفي تعامله اليومي مع الناس . وهو في كل ذلك انما كان يعبّر عن رغبة قوية في ان يمنح لنفسه حياة (خاصة او ادبية) تختلف عن حياة الاخرين .. وكان همه الاكبر فيها سعيد في البحث عن كينونته الخاصة . ولم يكن ، في كل ذلك ، « ضحية وهم »معين، كما قد يخيل للبعض .. انما كان يصدر عن يقين امتلأت به نفسه.

كان يكتب ضمن وعي خاص .. ويعيش ضمن هذا الوعي ذاته، ويتحدث من خلاله ايضا ..

في فترة ما من حياته (اوائل الخمسينات) كتب حسين مردان مقالة يرد فيها على مهاجميه ، ويقول :

ـ « اني ارتدي جلد « ايوب » ، فالسهام التي تسدّد نحوي لا تجد في جسدي موضعا بلا جرح . وكالمسيح أقدم خدي ليصفعه الناس ، وعلى شفتي ابتسامة الشهيد ».

وفي الفترة ذاتها كتب موضحا حول ناحية تتعلق بأسلوبه :ـ

ـ « .. واذا كان اسلوبي يبدو قاسيا ، وحادا كالسكين ،فلاني أؤمن بأن السرطان يجب ان يقتلع اقتلاعا .. فسكيني لا تقلّم الاغصان الفضة في مزرعة الفساد فقط ، وانما تغوص عميقا في التراب لقطع الجذور » .

كتب حسين مردان هذا حين كان يتعرض لحملات هجوم متواصل، تبدا بالكتابة ، لتنتهي بالتوقيف ، فالمحاكمة ، فالسجن . ولكنه كان يجابه الامور بيقين ثابت ، وكان له من وعيه : الاجتماعي ، والفني، والفكري ما يشكل ارضا صلبة يقف عليها ليقول كلمته .. وكان بجانب شعره الصارخ ، المحتج على كثير مما تعارف الناس على احترامه او ازدرائه صوتا نقديا متميزا وجريئا . فقلة قليلة كانت تجرؤ على قول ما كان حسين مردان يقوله عن شعراء كبار في اذهان الناس، وفي تصوراتهم ..

. .انه في نقده كما هو في شعره : يقتحم على الناس اذواقهم، مهشما فيهم هذه « الطبيعة الساذجة » في التلقي ، ملغيا عندهم عادة « الاعجاب المجاني » .

من هذا المنطلق بدأ تعامله مع الادب ، والشعر منه بصورة خاصة. ولعل وعيه النقدي يتركز في كتاباته عن الشعر .. ففيها يتلخص منهجه ، وتبرز اهميته ، كما تتوضح معالم شخصيته الشعرية ايضا.

في اوائل الخمسينات كتب مقالا يؤاخذ فيه احد الشعراء على « تفريطه بالشعر » ، ومن قاله موضحا بعض ما يتعلق بشخصه ، شعريا :

ـ « .. فانا شخصيا لا اقرأ كثيرا ، ولا اجيد اية لغة اجنبية ، ولكني بقدر ما أطيل التحديق الى اعمق اعماقي كانسان ادرس حياة الناس وحركتهم داخل المجتمع ، ثم امارس التعبير عن ذلك بطريقتي الخاصة ..» .

وكان ، في نقده ، لا يخشى امرا ، ولا يهاب التعرض لاحد ،مهما كبر في عيون الناس ، وفي اذهانهم .. فهو حين يتوجه الى احد « الشعراء الكبار » ، وقد قرأ له قصيدة وجدها رديئة ، لا يتحرج من مخاطبته ، وبلهجة تمتلك كل الثقة بنفسها :ـ

ـ « .. لقد آن لك ان تستريح ، فقد بلغت نصف الطريق الى الذروة ، ومن الخير لك وللشعر العربي ان تقف حيث انت الان ، لانك لا تستطيع الصعود اكثر من ذلك . حذار ، فان خطوة واحدة وتهبط الى القاع » .

من هنا ، من تلك البدايات الواثقة ، توفر حسين مردان على وعي خاص بالشعر ، وبمهمته ، وبالطبيعة التي يجب ان يكون عليها ـ من وجهة نظره ـ في عصر كعصرنا هذا . وكان ذلك في مرحلة شهدت بدايات حركة التجديد . .وكان حسين مردان احد المساهمين في بلورة مفاهيم الشعر الجديد . وهو ان لم يضع هذه « الاسس » الجديدة، فانه كان ، برفضه كل ما يتنافى وروح القصيدة الجديدة ، وما لا ينسجم وطبيعتها ، يؤسس الكثير ، في افكار الناس ، واذواقهم .

ولعل مسالة « الوعي الاجتماعي » كانت الشغل الشاغل لحسين مردان .. لا يكتب الا من خلالها ، ولا يتحدث عن شيء الا ويربط حديثه بها . فهو اذ يقول انه وجد في ديوان بلند الحيدري « اغاني المدينة الميتة » قصائد هي ارقى ما وصل اليه الشعر الحديث من التطور » ، يضيف مستدركا : « غير ان هناك شيئا واحدا لا تجده في شعر بلند ، وذلك هو الوعي الاجتماعي !!» .. ومن هنا فهو يجد ان بلند « ما زال يلتف حول نفسه كالحلزون ، ولا يطل على العالم الخارجي الا قليلا » .

ترى ماذا حقق حسين مردان في شعره ؟

يقول :

ـ « لقد حاولت في قصائدي الاولى والتي ظهرت في ديوان (قصائد عارية) ان اكشط الجلد ، وارفع جميع طبقات اللحم مخترقا صلابة العظام للوصول الى حركة الدم .. لمعرفة العلاقات التي تربط بين المرأة والرجل . فلقد ظلّ الحب خيمة مغلقة ينظر اليها الشعراء كشيء له علاقة ما بالسماء ، ولم تبلغ الجرأة بهم على اقتحام الجو الداخلي للتفرج على ما يوجد هناك . ولذلك كنت صريحا وعنيفا في وصف هذه العاطفة الانسانية . لقد اردت للحب ان يبدو كما هو في الطبيعة ، وليس كما يبدو من خلال التقاليد والمثل الاجتماعية القديمة . وبما انني كنت معاصرا لعدد من الشعراء الذين استجابوا لمتطلبات الجماهير .. فلقد وجدت نفسي في وضع شاذ وغريب بالنسبة للاتجاه العام .. وهنا قررت ان اتخذ موقفي الخاص .. وكانت قراءاتي وثقافتي تتنوع يوما بعد اخر . واكتشفت انني ادور حول نواة واحدة ، وانني اربط وجودي كله بوتد واحد ، بعيدا عن العوالم الاخرى من الحياة .. فاتجهت شيئا فشيئا الى الناس .. ثم بدأت اعبّر عن مشاعري الفردية عن طريق الاخرين . وهكذا ولد شعري ...» (الازهار تورق داخل الصاعقة ـ ص ١٥٦)

***

انقسم الناس حوله الى فريقين لا ثالث بينهما .. فريق يقبل على ما يكتب حسين مردان او يقول بشغف ولهفة .. ويتحمس لارائه .وفريق

يقابله باستياء بالغ وعميق .

هذه الحال لم تكن له مع معاصريه فقط .. وانما كانت له حتى مع ابسط القراء .. وقد تجلت حدتها مع ما كان يكتبه في مجلة « الغرباء » طيلة السنوات الخمس الماضية ..

فقد بدا حسين مردان متمردا ، رافضا ، ثائرا ، كما اسلفنا القول .. « لم يكن « ينقده » من حالات الرفض ، والتمرد ، والثورة هذه غير الشعر ، والمحاكمة ، والسجن ، ليخرج اشد ، واقوى ، واعنف ، واكثر يقينا بتلوث الاشياء من حوله .

وفي فترته الاخيرة ، وان ظل يحتفظ باصدار ذلك الصوت ، كان كثيرا ما يقترب من حافة اليأس ، ضمن حالة من التسليم، ولكن غير الكامل ، للفنون هي اقرب الى « الهواجس الخفية » التي كثيرا ما تداخل ذات الانسان في بعض مراحل حياته . فكان ، ونتيجة لذلك، كثير التفكير بالموت .. وقد كتب نثرا هو من صميم احساسه بخطى الموت التي تقترب منه .. وكاقدامه على تدوين جوانب من مذكراته في الحياة الادبية (١) .

وفي سنيه الاخيرة عاش حياة كانت كما تمثلها هو ذات يوم بقول الشاعر الاسباني « دي فيجا » :

« انا ذاهب الى وحدتي
انا قادم من وحدتي
انا لا احتاج معي سوى افكاري » .

.. وكنا زملاء في عمل واحد (مجلة الف باء) .. وفيها عرفت حسين مردان عام ١٩٦٨ .. وكان في الفترة الاخيرة بالذات كثيرا ما يردد على سمعي انه سيترك العمل في المجلة .. وسيترك الكتابة ليرتاح . ولكنه كان يكذب .. فالكتابة اقوى منه .. اذ لم يكن يستطيع فكاكا منها .. ولم يمنع رعشة القلم في يده غير الموت .. حيث رحل صاحب القلب الكبير ..

بغداد — ماجد صالح السامرائي

(١) لا بد من التنويه هنا الى ان القسم الاهم من مذكراته قد كتبه بالتراح ودعوة من الشاعر شفيق الكمالي ، ايام كان وزيرا للاعلام .

تونس

رسالة من محمد بلحسن

عصرنا .. والفن التشكيلي العربي

انعقد في المركز الثقافي الدولي بمدينة الحمامات الملتقى الثالث للفنانين التشكيليين العرب ، حيث تم بحث جملة من القضايا الفنية التي لها علاقة بالفن التشكيلي العربي المعاصر ومناقشة موضوع (الاساليب المعاصرة للفنون التشكيلية في العالم العربي) وتبادل الآراء في الوضع الحالي الذي عليه الفنون التشكيلية في اقطارنا العربية ووسائل تطويرها وتسليط الاضواء بالتحليل والنقد لما عليه فن الفنانين التشكيليين العرب ومقارنته بفن غيرهم في انحاء العالم . وكل ذلك مساهمة في خدمة الثقافة العربية المعاصرة وتطويرها وانماء رصيدها على المستوى العربي والعالمي .

وشارك في هذا الملتقى ثمانية عشر رساما وناقدا وهم : فلسطين : اسماعيل شموط . الكويت : عبدالله سالم . ليبيا : الطاهي الامين المغربي . لبنان : منير النجم ـ عارف الريس . سوريا : ممدوح قشلان ـ اسماء الفيومي . مصر : انجي افلاطون ـ صالح رضا. المغرب : فريد بن كاهية ـ عبدالله الستوكي . الجزائر : البشير يلس ـ محمد خدة . تونس : الطاهر قيقه ـ الزبير التركي ـ محمد عزيزه ـ الهادي التركي ـ الصادق قمش .

واشرف على جلسة افتتاح الملتقى الاستاذ الشاذلي القليبي وزير الشؤون الثقافية حيث القى كلمة استعرض فيها جملة من الخواطر والتاملات حول الفن التشكيلي العربي ومستلزمات العصر، نقتطف منه الفقرات التالية :

« ـ من دواعي الابتهاج والاعتزاز ان تحتضن تونس مثل هذه الندوة التي تتعلق بقضية هي من اهم القضايا الثقافية المعاصرة الا وهي منزلة الفنون التشكيلية في المجتمعات العربية خاصة وان مجال الثقافة قد تطور عندنا منذ اتصالنا بالثقافات الاخرى ولم نعد نقصر الثقافة على الانتاج الفكري فحسب كما كنا في الماضي بل قد اصبحنا ندخل في دائرة الثقافة عدة نشاطات اخرى انسانية لها طابع الخلق والابداع . ذلك ان الثقافة لا يمكن ان تكون مقصورة على نشاط من النشاطات الانسانية بل يجب ان تكون شاملة لكل ما له صلة بالانسان وما له صلة بالقوة العاطفية .

« انكم تدرسون اليوم هذه القضية ، قضية الفنون التشكيلية وفي الواقع يجب ان نذكر بان الفنون التشكيلية انما هي فنون حديثة العهد نحن حديثو العهد بها ، اذ قد اخذناها واقتبسناها من الثقافات الاخرى التي سبقتنا الى هذه الميادين منذ القرون ، وان المشكل الذي نستعرضه هو كيف تكون الفنون التشكيلية العربية عندنا ونحن ناتي مؤخرا ونجد انفسنا امام انواع من التراث الاجنبي وانواع من النزعات والمدارس . وبهذا نجد انفسنا امام واقع متشعب يدفعنا الى التساؤل عن مكانتنا من هذه الفنون خاصة بعد ان حدث في هذه الفنون التشكيلية تطور كبير وتحول جذري نتج عن تطور مفهوم الفن عامة والفنون التشكيلية خاصة الى هذه الفنون التي تغيرت رسالتها وتغير تصور الفنان لها .

« ان التحول الجذري الذي دخل على الفن انما اصبح يتناول مفهوم الفن نفسه ، وقد جاء نتيجة تطور ومسيرة طويلة جعلت هذه الفنون تتغير في جوهرها وتميل الان الى الفصل بين الشكل والمضمون ، اي تتبنى فكرة تجريد الاشكال من كل مضمون يدل على الكائنات الموجودة ، وهكذا اظهرت الرسوم غير التصويرية وطفت على الاتجاه المعاصر هذه النزعة التي تكاد تسيطر على جميع الفنون التشكيلية في البلدان التي رسخت فيها قدم هذه الفنون منذ قرون .

« ان موقفين يفرضان نفسهما علينا وان كانا متناقضين ظاهريا. الموقف الاول يتلخص في وجوب انصهار الفنانين التشكيليين العرب في التيار العام للفنون التشكيلية دون العودة الى الماضي ، وهذا يستوجب السير نحو مرحلة النضج من التحول التي وقعت في بلاد الغرب دون العودة الى التاريخ الذي مضى ، اي ان ناخذ القطار وهو يجري. واما الموقف الثاني فيدعو الى امكانية الرجوع الى ذاتيتنا الحضارية والثقافية للبحث فيها عن الماضي ، وفكرة الرجوع هذه لا نتفق عليها ، لان الرجوع في ميدان الثقافة غير معقول وغير ممكن تاريخيا

وفكريا . كما لا يمكن للفكر البشري ان يقبل الارتباط باشياء تجاوزها الزمن .

« التناقض واضح بين الموقفين ، الا انه ليس بالعمق الذي يتصوره البعض ، لان معنى الرجوع هو العودة الى التراث والاساليب القديمة والانماط الفنية التي عرفها اجدادنا وتناولوها بالبحث . والمشكلة الحقيقية ليست مشكلة رجوع بل هي مشكلة ربط الصلة من جديد بما هو قديم ، وليس ربط الصلة هنا بالتراث بل بالمناخ العقلي الروحي الذي يسود ذلك التراث .. وحتى نستطيع ان نعطي لاعمالنا الجديدة سعة الجو الروحاني الذي نعرفه وحتى لا تقع القطيعة بيننا وبين الماضي يجب ان يكون خلقنا الفني امتدادا بين ما وقع والواقع مع الاجيال القادمة .

« سؤال يفرض نفسه علينا وهو : كيف يكون سلوك الفنان العربي عند قيامه بعمليات الخلق ؟ وهل يجب ان يقلد المدارس التي عرفها الماضي الغربي ام هل يجب ان يقلد المدارس التي يعيشها اليوم الحاضر الغربي ؟.. ان التقليد في حد ذاته ليس بالحل شأنه شان اي تقليد في اية مهنة كانت . اذيجب على الفنان ان يعتمد حرية الابتكار وان يبتعد عن التقليد الذي يعتبر تنازلا عن حماية الفرد وابتعادا عن ممارسة ارادته في الخلق » .

وبعد ثمانية ايام من الدرس والتحليل والنقاش والنقد انهى الملتقى اعماله باصدار توصيات جاء فيها :
« يوصي الملتقى :

١ ـ بان يتمتع الفنان بالحرية المطلقة التامة في مجال عمله الخلاق ، حيث ان الحرية في الفن هي الطريق الوحيد لبناء الحضارة الفنية المعاصرة ، وان يمكن الفنان من التفرغ لعمله الفني .

٢ ـ بتدعيم الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، الذي يعمل بالتنسيق والتعاون والاتصال المباشر مع جميع التجمعات الفنية في الاقطار العربية ، ومده بالامكانيات المادية والادبية اللازمة

٣ ـ الامانة العامة للاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب بان تسعى لايجاد صفة عملية للتعاون الوثيق بين جميع التجمعات الفنية التشكيلية القائمة بالعالم العربي ، وحث فناني الاقطار التي لا يوجد بها تجمع فني لتكوين تجمع واحد لهم ، يضم كافة الفنانين المحترفين والممارسين بالقطر للانضمام للاتحاد .

٤ ـ حكومات الدول العربية للعناية بالتربية الفنية على الصعيد المدرسي والجامعي ، ونشر الوعي الفني عن طريق المعارض المتجولة وانشاء المتاحف وقاعات العرض ، وعن طريق وسائل الاعلام الحديثة، كالسينما والتلفزيون والصحافة ، ويلح الملتقى على ضرورة اصدار كتب ومجلة فنية تعنى بشؤون الفنون التشكيلية بالعالم العربي للتعريف بالحركة الفنية التشكيلية العربية على الصعيدين القومي والعالمي . على ان يركز الاهتمام للمساهمة في النشاطات الفنية العالمية ، كالاشتراك في المعارض الدولية الدورية والملتقيات المعنية بالامر .

٥ ـ المسؤولين عن الفنون التشكيلية في الاقطار العربية الى ضرورة عقد المؤتمرات واللقاءات بين الفنانين العرب كل ما امكن على ان تكون مشفوعة بمعارض فنية يشارك بها اكبر عدد ممكن من الفنانين العرب .

٦ ـ جميع العاملين في مجال الفنون التشكيلية بدراسة الفكر والفن الاسلامي وكافة فنون الشرق وان يعيشوا واقعهم العربي ويتفاعلوا مع احداث وطنهم على المستويين الاجتماعي والسياسي .

٧ ـ بضرورة دعم النشاط الفني من قبل المؤسسات الرسمية المعنية وذلك بتطبيق قانون لـ ١ في المائة لصالح الانتاج الفني التشكيلي .

٨ ـ الى توحيد المصطلحات الفنية في مجال الفنون بمشاركة اهل التخصص وبدعوتهم لعقد ندوة لمعالجة هذا الموضوع .

٩ ـ العاملون في كافة المجالات الفنية والفكرية (كالادب والمسرح والموسيقى والسينما ..) بايجاد وحدة عملية ودمج النشاطات الفنية الثقافية المختلفة من اجل وحدة التفاعل الحضاري » .

وسيصدر المركز نشرة تحتوي على الدراسات المكتوبة التي قدمت في الملتقى وملخص المناقشات والاراء .

تونس — محمد بلحسن

المغرب

انشاء اتحاد للفنانين المغاربة

يجتاز المغرب في هذه الآونة مرحلة صعبة على المستوى السياسي. وما ذلك الا نتيجة حتمية لتعفن بلغ اوجه في جميع المجالات ، والمتتبع بطبيعة الحال للاحداث في العالم العربي ، لا يخفى عليه ما يجري في المغرب . والى جانب هذه الاضطرابات المتوالية منذ عشر سنوات من اجل تقرير المصير ، تقوم انتفاضات هنا وهناك على المستوى الفكري والثقافي ، ويقوم بهذه الانتفاضات ملاكات فكرية متفاوتة من حيث المفهوم والموقف الايديولوجيين ، لكنها في الاغلب ذات نية حسنة ، من اجل العمل لرفع مستوى البلاد ، فاعيد على سبيل المثال انشاء وتكوين اتحاد كتاب المغرب (بدلا من المغرب العربي سابقا) . وانشئت جمعية للرسامين لم يتحقق شيء من مطالبها حتى الان ، بل كانت النتيجة ان ادخل بعضهم الى السجن (الرسام محمد شبعة مثلا) .

وفي الآونة الاخيرة تأسس بالبيضاء ، العاصمة الاقتصادية ، اتحاد للفنانين المغاربة ، الذي من اهدافه ربط اتصالات مع فنانين ،واتحادات اخرى في العالم العربي وفي العالم . وسيلاحظ القارىء للبيان الذي اصدره الاتحاد انه لا يشير اطلاقا الى قضية الرسامين ،ولا الى مطالبهم . وانا اعتبر هذا نقصا متعمدا او غير متعمد في البيان ، رغم ان الاتحاد يضم رساميين . وقد اغفل البيان التنديد باعتقال الفنانين المسجونين ، كما انه لم يشر الى مسألة اخرى طالما نادى بها الرسامون ، وهي انشاء متحف وطني ، يضم اعمالا لفنانين مغاربة ، بدل ان يظل هؤلاء مشتتين في انحاء العالم . من طوكيو ونيودلهي ، الى سان فرانسيسكو ومكسيكو ورما وباريس .

ان قيمة البيان مع ذلك لا يمكن ان تنكر ، فهو مجموعة تحديات لمسؤولين عن الاوضاع الثقافية البالغة السوء في هذا الوطن ، وسيظل هذا البيان ، الذي هو الاول من نوعه حسب ما هو في علمي ، وثيقة تاريخية ، تشهد على ان مجموعة من الفنانين كانت تملك على الاقل ، في وقت ما ، وعيا تاريخيا بمصيرها .

ونتمنى لهذا الاتحاد العمل في طريق النضال لفرض فن مغربي عربي اصيل ، كما نتمنى للدولة (التي لم ولن تعودنا ذلك قط) العمل على تنفيذ بعض المطالب التي وردت في البيان.

بيان اتحاد الفنانين المغاربة

لقد آن الاوان لوضع نقط استفهام في شق هام من حياتنا الفكرية . ميدان الفنون . واننا لننطلق من واقع انتقادي كفنانين مغاربة في وضعنا لهذه الاسئلة ولطبيعة الاوضاع المزرية التي نعيشها ثقافيا وفكريا ، والجو المحدق بميدان الابداع لا يمكن ان تحقق الاجوبة الفعلية الا بوسيلة واحدة الا وهي : الاتحاد .

لقد استثمرت الجغرافية الفنية في بلادنا استثمارا عكسيافاستغلت لغير الاهداف المتوخاة منها وبديهي ان ينتج عن ذلك عديد من المعطيات من ابرزها :

١ ـ التخطيط لفوضوية الفنون

وذلك باحتقار الفنانين وقمعهم ماديا وسد الطريق امام تفتح الطاقات وامام انتاجها وردع موهبة الابداع بوضع مصير الفن والفنانين بين ايدي عناصر لا علاقة لها بالفن ولا تعيش قضايا الفنانين من قريب او بعيد .

٢ ـ تمييع الفنون

وذلك بتقنين الخلط والارتجال في ميدان الفنون وخاصةالاجهزة الاعلامية الفنية الشيء الذي ينتج عنه انعدام قوانين اساسيةتحدد الاختصاصات والرتب والترقيات وتضمن مستقبل المحترفين .واجمالا يجعل هذا الخلط الفنان المحترف على راس مسمار فلا هو بالهاوي الصرف ولا هو بالمحترف .

٣ ـ جعل الفن اداة من ادوات تعميق التخلف

ويتضح ذلك في :

أ ـ تشجيع الانتاج الرديء على جميع المستويات الفنية .

ب ـ سد الطريق امام كل عمل رائد يستهدف تعميق الوعي الاجتماعي والمساهمة في بلورة ايجاد الحلول لمآسينا الحقيقية .

ج ـ تمييع الفلكلور المغربي وادعاء المحافظة عليه في اشكاله العتيقة لجعله الوجه الوحيد لثقافتنا الوطنية .

د ـ تخاذل المسؤولين بخصوص اعداد مدرسة عليا لتخريج اساتذة متخصصين فيجميع الفنون وخاصة امام تعاظم حاجة البلاد لهذا النوع من الاطر .

وهذه المعطيات كلها تؤكد بان بلادنا تعيش الان تخلفا فنيا فظيعا لا يسعنا امامه الا ان نطرح الاسئلة التالية :

ـ كيف نتصور غدنا الفني ؟.

ـ كيف نستطيع ان نسترد (والحالة هذه) مكانتنا الطليعية ؟.

ان كل فنان مغربي في جميع ميادين الابداع يحس بغيرة على هذا البلد ويؤمن برسالته التاريخية الخالدة ، وبواجبه الانساني النبيل ، مطالب بان يعي كل هذه الحقائق وان يتخذ منها الموقف الضروري .

والموقف الضروري الان هو التماسك والتكتل داخل اتحاد الفنانين المغاربة .

هذا الاتحاد الذي رسم لنفسه اهدافا في مستوى هذه الحقائق وخطط برنامج عمل يرتفع الى الدور الطليعي في البناء قصد تزويد المغرب بطاقات فعالة منتجة ومحترمة وملتصقة بالواقع المجتمعي ومعبرة عن المطامح الروحية والفنية ، وبالتالي قصد اعطائه وجها مشرفا في المعترك العالمي .

ومهما بلغت امكانية الاتحاد الان او فيما بعد فانها ستظل ضئيلة ما لم يتحقق الاتحاد الفعلي للفنانين المغاربة : هواة ومحترفين على المستوى الوطني .

وفي افق الاتحاد مخططات بنائية تتخذ شكلا مطلبيا ازاء الدوائر المسؤولة ، وهي مخططات تاتي في حينها لتكون الجواب السليم على مجموع الاسئلة ، والحل الايجابي للقضايا التي طرحناها آنفا .

ومن مطالب الاتحاد ما يأتي :

١ ـ الاعتراف رسميا بمهنة المسرح .

٢ ـ جمع شتات المسرح الموزع بين وزارة الشبيبة والرياضة والشغل والشؤون الاجتماعية ، ووزارة الانباء ، ووزارة الثقافة والتعليم الاصلي ، وضمه الى ادارة عامة للمسارح الوطنية تابعة لوزارة الثقافة .

٣ ـ خلق فرق محترفة اقليمية .

٤ ـ بناء مسارح ودور للثقافة .

٥ ـ اعفاء العروض المسرحية من جميع انواع الضرائب في انتظار اصدار قانون للاحتراف .

٦ ـ خلق معهد وطني للفنون المسرحية .

٧ ـ وضع وتحقيق قانون للالتزامات والعقد في الميدان الفنيبين الاذاعة والتلفزيون والمركز السينمائي ، وشركات الانتاج ،والبلديات المكلفة بالمسارح ، وبين المحترفين على اساس سلالم معقولة ومحترمة موضوعة من طرف اتحاد الفنانين المغاربة .

كما نستنكر الوضع المتجمد لصناعة السينما ، ونطالب المركز السينمائي المسؤول عن هذه الصناعة ب :

١ ـ اصدار تشريعات سينمائية جديدة تحفز القطاع الخاص على

خوض تجربة الانتاج .

٢ ـ اعفاء الفيلم المغربي من الضرائب لمدة لا تقل عن خمس سنوات .

٣ ـ تقديم المساعدات الفنية والمعدات ، او منحة مادية تمثل ٣٠ بالمئة من الميزانية العامة المخصصة للانتاج .

٤ ـ ايفاد البعثات الى الخارج للاستفادة من الخبرة في جميع الميادين الفنية .

٥ ـ حماية الفيلم المغربي من فئة الموزعين المستغلة .

٦ ـ حماية السينمائي المغربي من الفنيين الاجانب الذين يفدون على بلدنا للعمل في بعض القطاعات السينمائية كالاشهار.

٧ ـ اقامة مسابقة سنوية لاختيار اجود الافلام .

٨ ـ فرض الفنان السينمائي المغربي على الشركات الاجنبية التي تصور افلامها في بلادنا .

٩ ـ سحب صلاحية الانتاج من الموزع المغربي ما دام لا يساعد في انتاج الفيلم المغربي المحض .

١٠ ـ حماية الانتاج المغربي بكافة انواعه والعمل على ترويجه.. واقناع اجهزة الاستهلاك على استغلاله .. كالتلفزيون ودور العرض السينمائية والنوادي الثقافية .

١١ ـ تغيير القانون السينمائي الحالي لانه وضع في ظروف استعمارية واعادة صياغته من جديد باشراف السينمائيين المغاربة.

١٢ ـ نستنكر استيراد التلفزيون المغربي للانتاج الاجنبي بمختلف انواعه واشكاله والذي بمعظمه لا يتمشى مع الذوق المغربي، كما نستنكر اهماله للانتاج المغربي الذي يعكس حياتنا بمختلف مظاهرها ويقوم بدور واضح في التثقيف والتوجيه .

١٣ ـ توفير العمل للعناصر المتوقفة من الفنيين المغاربة واعادة النظر في (الباريم) .

١٤ ـ توفير الوقت الكافي ، والمعدات اللازمة لانجاز العمل الفني حتى يتم في احسن الظروف .. وذلك لضمان الجودة المطلوبة .

١٥ ـ على التلفزيون ان يمد يد المساعدة ويتعامل مع الشركات السينمائية الوطنية الفتية التي اصبح عددها يتكاثر يوميا والتي في امكانها ان تقدم انتاجا مشرفا لتوفرها على عناصر جيدة ،وتخلق جوا صحيا من التنافس يثري الانتاج التلفزيوني .. ويرفع من مستواه الهابط باستمرار .

١٦ ـ تنظيم العمل في التلفزيون وفق مخطط مدروس، يتيح الفرصة لمختلف القطاعات الفنية ان تستفيد من هذا الجهاز الحيوي ، حتى لا يبقى الانتاج مقصورا على فئة صغيرة ومحدودة ، تمثل صورة بشعة للاستغلال ، وتكرر نفسها في اعمال رديئة ، وتسد الباب بكل عنف في وجه باقي العناصر .

١٧ ـ خلق معهد وطني للفلكور والفنون الكوريوكرافية يعطي الفرقة الوطنية للفنون الشعبية .

١٨ ـ ايجاد اساتذة لتدريس الموسيقى العربية بالمعاهد المغربية.

١٩ ـ فتح المجال وضمان الاستمرار للمواهب الجديدة في ميدان الكلمات والتلحين والغناء وتسهيل خروج عملهم الفني الى الوجود.

٢٠ ـ تغيير لجنتي الكلمات والالحان التي تتكون من عناصر بيروقراطية تستغل وضعها لترويج انتاجها الخاص والوقوف امام الطاقات الاخرى التي يجب ان تنشط في الميدان الفني .

٢١ ـ تشجيع ومساعدة الاجواق الموسيقية الحرة لتساهم في النهضة الموسيقية حتى لا يبقى الانتاج الموسيقي مقصورا على الاجواق الرسمية .

٢٢ ـ فرض المراقبة الشديدة على مكتب حقوق التاليف الذي ثبت انه يهمل حقوق الفنان المادية .

نحو

نظرية نقدية للمجتمع

تاليف هربرت ماركوز

ترجمة ادوار الخراط

السلطة العائلية ، والاجتماعية ، والسياسية ،وتاريخ هذه السلطة وبناها ونتائجها القمعية الرهيبة ـ تلك هي الموضوعات التي يتناولها الفيلسوف هربرت ماركوز في هذا الكتاب الذي يعد من احدث مؤلفاته .

وسواء كان الامر يتعلق بمفهومه الخاص للماركسية ، هذا المفهوم الذي يعارض به مفهوم التوسر، او بفكرة « المجتمع الكبير » التي أطلقها جونسون في الولايات المتحدة عام ١٩٦٤ ، او بالدراسات الاكثر كلاسيكية عن « كانت » و « هيغل » ، فالمؤلف يحرك في كل صفحة ديالكتيكه الصارم .

ان هذا الكتاب يشرح شرحا اوفى فكر « معلم الرفض العالمي » ومنهجه .

يصدر قريبا